المحاضرة الثامنة: النّقد الاجتماعي:

1/ علاقة الأدب بالمجتمع:

يُعدّ الأدب ظاهرة اجتماعية، حتّى وإن اتّسمت العملية الإبداعية بالذاتية؛ صحيح أنّها ذاتية من جهة الابتكار والكشف، والجمع بين العناصر وفق رؤية ذاتية، لكنّها اجتماعية لأنّ مادتها وعناصرها من الحياة والمجتمع.

ويُقال: إنّ للأدب انعكاسات اجتماعية عديدة، فهو في حدِّ ذاته انعكاسٌ اجتماعي، حتّى في أكثر موضوعاته خصوصية؛ فهو نشاط اجتماعي قبل أن يكون نشاطًا لغويا، ومن ثمّ فالأدب قابلٌ للتّعريف من منظور اجتماعي على أنّه مجموعة من القيم أو التّعبير عنها.

وعلى مدى التاريخ الأدبي كلّه لم ينكر أحدٌ العلاقة بين الأدب والمجتمع، وإنّما قد ينشأ الاختلاف حول فهم طبيعة هذه العلاقة، ومِن ثمّ كانت قضية العلاقة بين الأدب والمجتمع، ما تزال موضوعًا مهمّا جدّا لفهم الأدب ودراسته، ومن دونها لا يمكن فهم الأدب ولا المجتمع.

2/ مفهوم النّقد الاجتماعي:

ينطلق المنهج الاجتماعي في دراسته للأدب من قناعاتٍ واسعةٍ راسخةٍ بأنّ الأدب تعبير عن المجتمع وأنّه لا يوجد أدبٌ دون وجود مجتمع ينبثقُ منه، وأن الأديب ابن مجتمعه، يتأثّر بما يتأثّر به أفرادُ المجتمع من مؤثّرات سياسية واقتصادية وفكرية، وينعكس على صفحةِ إبداعه ما يسود مجتمعه من عادات وتقاليد وعقائد ونظم ومبادئ وأفكار، ولا يتوقّف الأديب عند حدود تصوير الواقع كما هو، بل يعبّر عن رؤيته لإعادة تشكيل الواقع وصياغته.

يقول "**شوقي ضيف**": (**وينبغي أن نلاحظ أنّ من يدرسون الأدب دراسة اجتماعية لا يُريدون أن يتبيّنوا فيه انعكاسات المجتمع فحسب، فتلك مسألة بديهية، إنّما يريدون أن يتبيّنوا ما في بيئة الأديب من ظواهر اجتماعية، ومدى تأثيرها في أدبه، محاولين النّفاذ إلى معرفة طبقة الأديب الاجتماعية التي ينتمي إليها، وما عاش فيه من أوضاعٍ اقتصادية ومدى استجابته لموقف طبقته وصدوره عنها في آثاره**).

ينبغي على النّاقد وفق المنهج الاجتماعي أن يتناول النّص الأدبي وفق العناصر التالية:

- إنّ القراءة النّقدية الاجتماعية لا تستهدف علوم الأدب المتّصلة باللغّة والنّحو والصّرف والبلاغة، بقدر ما تستهدف فنون الأدب وأجناسه، كالشّعر والرواية والمقامة والمقالة والمسرح؛ لأنّها تبحث في الشروط الاجتماعية لإنتاج الأدب،

وأنّ بحثها هذا لا يُغفل القيم الفنية والأسس الجمالية، بل ينظر إليها ضمن شروط الذّوق الفني للأمّة التي أنتجته، والأمم التي تبنّته.

- الحياة تُعدّ حقيقة اجتماعية، وعلى النّاقد أن يتّسم بالصّراحة في قراءة النصّ، وألّا يكبت الأشياء داخل النص، سواء كانت ظاهرة أو باطنة، وألّا يأخذ بعض المقولات الصريحة على أنّها ثانوية أو مهملة.
- ملاحظة العلاقة التبادلية بين الأديب والمجتمع والبحث فيها على اعتبار أنّها تخضع لقاعدة التّأثير و التأثّر.
- أن يأخذ النّاقد في حسبانه ارتباط نشأة الأدب وتطوّره بقوانين اجتماعية معيّنة، وأنه ليس نشاطًا فرديا خالصًا، بل له وظيفة اجتماعية.

3/ خصائص المنهج الاجتماعي:

- الأدب ناقلٌ ومروّجٌ للأفكار السياسية.
- النقد الاجتماعي نقد تفسيري، يُحاول النّاقد من خلاله إبراز الدّلالات الاجتماعية أو التاريخية الكامنة في العمل الأدبي.
- النّقد الاجتماعي نقد تقويمي يُعلي من شأنِ الأديب الملتزم بقضايا أمّته.
- الالتزام بمبدأ أساسي وهو أن يلتزم الأديب بقضايا مجتمعه ويدافع عنها.